نهاية القتلة

محمود سالم

نهاية القتلة

تأليف
محمود سالم

هنـــداوي

نهاية القتلة

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: وجدان توفيق

الترقيم الدولي: ٨ ٢٩٣٤ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٩٨.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة لأسرة السيد الأستاذ محمود سالم.

المحتويات

من هم الشياطين الـ «١٣»؟	٧
أبطال هذه القصة	٩
حرائق وأنَّات!	١١
السيارة الخاطفة!	١٩
نفايات ذريَّة!	٢٧
مَن قتل «رولا» و«جان»؟!	٣٥
السقوط في نهر السين!	٤١

من هم الشياطين الـ«١٣»؟

إنهم ١٣ فتًى وفتاةً في مثل عمرك، كلٌّ منهم يُمثِّل بلدًا عربيًّا. إنهم يقفون في وجه المؤامرات الموجَّهة إلى الوطن العربي ... تمرَّنوا في منطقة الكهف السِّري التي لا يعرفها أحد ... أجادوا فنون القتال ... استخدام المسدسات ... الخناجر ... الكاراتيه ... وهم جميعًا يُجيدون عدة لغات.

وفي كل مغامرةٍ يشترك خمسة أو ستة من الشياطين معًا ... تحت قيادة زعيمهم الغامض رقم «صفر» الذي لم يرَه أحد، ولا يعرف حقيقته أحد.

وأحداث مغامراتهم تدور في كل البلاد العربية ... وستجد نفسك معهم مهما كان بلدك في الوطن العربي الكبير.

أبطال هذه القصة

رقم «١»: «أحمد» من مصر.

رقم «٢»: «عثمان» من السودان.

رقم «٣»: «إلهام» من لبنان.

رقم «٤»: «هدى» من المغرب.

رقم «٥»: «بو عمير» من الجزائر.

رقم «٦»: «مصباح» من ليبيا.

رقم «٧»: «زبيدة» من تونس.

رقم «٨»: «فهد» من سوريا.

رقم «٩»: «خالد» من الكويت.

رقم «١٠»: «ريما» من الأردن.

رقم «١١»: «قيس» من السعودية.

رقم «١٢»: «باسم» من فلسطين.

رقم «١٣»: «رشيد» من العراق.

رقم «صفر»: الزعيم الغامض الذي لا يعرف حقيقته أحد!

حرائق وأنَّات!

فجأة ارتفعت ألسنة اللهب في الصندل البحري الواقف في ميناء «رملة بولاق»، وملأ الدخان سماء المنطقة حتى حجَب ضوء الشمس، ورأى الناس الغروب في ساعة الظَّهيرة.

في تلك الأثناء كانت «ريما» تجلس في الطابق الرابع بمبنى «كايرو بلازا»، الواقع بالقرب من الميناء، ولفت نظرها سُحب الدخان، فخشيَتْ أن يكون ذلك بسبب حريق في المبنى ذاته، ولكن عندما عرفت أنه من الميناء، استأذنت من مُضيفتها السيدة «رولا»، وهرولت إلى المِصْعد هابطة إلى الدور الأرضي، وقطعت المسافة منه إلى الميناء في دقائق، وكانت سيارات المطافئ قد ازدحمت حوله، ونفرٌ غير قليل من عساكر الشرطة يُبعدون المارَّة الذين وقفوا يشاهدون الحريق، وحتى لا يعرقلوا جهود رجال الإنقاذ.

فانسلتت «ريما» من بينهم، حتى صارت في مواجهة الصندل المشتعل، فهالتها ألسِنةُ اللهب المرتفعة في السماء في مزيج من الألوان، وعشرات الخراطيم الضخمة تنطلق منها المياه ... فتبدو كخيوط رفيعة رغم تدفُّقها بغزارة ... فأخرجت بطاقتها الأمنية، وتوجَّهت إلى ضابط الإطفاء تسأله عن سبب الحريق، فطلب منها إمهاله بعض الوقت حتى يُحكِموا السيطرة على النيران، وبعد ذلك يصرِّح لها بما تشاء.

وتقديرًا للموقف، انسحبت من المكان، وفي نيَّتها مراقبة ما يحدث من مكان آخَر، لتُكوِّن صورة واضحة عن الحادث، تنطلق منها للبحث في أسبابه ومسبباته ... فلكل حادث احتمال وجود فاعل، مما يعني أنه حدَث عن قصدٍ، ذلك إنْ لم يثبت أن هناك أسبابًا أخرى.

تركت «ريما» الزحام، ومن بعيد رأت لنشات شرطة المسطحات المائية تتجه في مجموعات إلى موقع الحادث، وأيضًا العديد من سيارات الشرطة، ودراجات المرور النارية، تُفسح الطريق لسيارة تبدو أنها لمسئول كبير، أتى ليتابع الأحداث عن قُرب ... ومن خلفهما

سيارة التصوير الخارجي للتليفزيون، وأصبح المكان لا يصلح لممارسة فضول الشياطين، فرأت أنه من الأجدى متابعة ما يجري ... من مكتب السيدة «رولا» بمبنى «كايرو بلازا»، مستعينة في ذلك بنظارتها المعظمة ... التي تحتفظ بها ضمن باقي معداتها في حقيبة السيارة، وكان ذلك مثار ترحيب بالسيدة «رولا»، والتي كانت تُكِنُّ لـ «ريما» حبًّا خالصًا، فقد كانت صديقة والدتها أثناء إقامتها في «الأردن»، فالسيدة «رولا» لبنانية الجنسية، تعمل مديرة مكتب للاستيراد والتصدير يملكه رجل أعمال لبناني.

من شرفة هذا المكتب وقفَت «ريما» تُتابع ما يحدث، ونظَّارتها المعظمة تُقرِّب لها الصورة، وكأنها تقف في موقع الأحداث، وقد لفت نظرها بعض الصنادل البحرية تتجه بعيدًا عن موقع الأحداث، وأمامها لنش يخصُّ قوات شرطة المسطحات المائية.

فأثار ذلك بداخلها تساؤلًا عمَّا إذا كانت هناك علاقة بين الصنادل ... والصندل المحترق، وأيضًا شاهدت بعض ضباط الشرطة، يتحدَّثون إلى رجل يبدو من مظهره أنه رجلُ مالٍ غير مصري ... وهناك آخر يبدو من مظهره أنه رجل النيابة، يحيط به بعض الرجال، يوحي مظهرهم بأنهم ملاحي الصندل المحترق.

ورغم مرور أكثر من ساعتين على الحريق ... فإن جهود الإنقاذ لم تُسفِر عن تحسُّن واضح ... أو قرب انطفاء النار ... فثار تساؤل في نفس «ريما»، مما جعلها تتوجَّه بالسؤال للسيدة «رولا» قائلة: ما عمل هذا الصندل ... وماذا يحمل؟

نهضت السيدة «رولا» من خلف مكتبها ... وتوجَّهت إلى حيث تقف «ريما» التي ناولتها نظارتها المعظمة، فألقت بها نظرة على ما يحدث ... ثم قالت لها: إن هذه الصنادل تحمل محاصيل زراعية ... من أقاصي الصعيد.

ريما: المحاصيل الزراعية ... لا تُحدث مثل هذا الحريق ... ولا تُشعل نيرانًا كهذه يمرُّ عليها كل هذا الوقت ... وهي كما هي لا تنطفئ ولا تهمد. فهل المحاصيل الزراعية تطلق كلَّ هذا اللهب ... وينتج عنها كل هذا الدخان؟!

السيدة «رولا»: بالطبع لا ... ولكن من الواضح أن الصندل المحترق، لم يكُن يحمل محاصيل زراعية، بل كان يحمل وقودًا بكمية كبيرة تكفي لهذه الرحلة الطويلة، لجر بقية الصنادل المحمَّلة بالمزروعات ... إذا ما حدث بمحركاتها عطل.

ريما: أي إن هذا الصندل المحترق هو مخزن الوقود لبقية الصنادل؟

رولا: نعم.

ريما: ولماذا هذه الصنادل ... وهناك قطارات وسيارات نقل؟

رولا: لأن النقل عبر هذه الصنادل ... أقل تكلفة بكثير؛ ولأنها أيضًا تستوعب كميات كبيرة من المحاصيل.

ريما: إذَن، فمِن المُستبعَد أن يكون هناك شبهة جنائية حول الحادث؟

رولا: ليس هناك شيء مُستبعَد الحدوث ... ولكن أخبريني ... لماذا كل هذه الأسئلة ... وماذا تعملين في «القاهرة»؟ وماذا تَدرُسين؟

ضحكَت «ريما» ضحكةً جَزْلى، ووعدتها أن تجيبها عن أسئلتها في زيارة قادمة لها، وانصرفت مُسرِعة لتلحق بوكيل النيابة الذي رأته يهمُّ بمغادرة موقع الحادث ... إلَّا أنها لم تلحق به، فتابعته في سيارتها إلى أن وصل إلى مقرِّ النيابة ... فأبرزت بطاقتها الأمنية للواقفين ببابه ولحقت به ... إلَّا أنه كان قد أغلق باب غرفته ... فطرقتها برفقٍ، وسمعَت مَن يأمرها بالدخول.

وحين رأى بطاقتها الأمنية، رحَّب بها كثيرًا وسألها عمَّا تريد ... وعندما علم برغبتها في الوقوف على نتيجة التحرِّي في حادث احتراق الصندل، ابتسم قائلًا: هل ما تقومين به لخدمة إحدى شركات التأمين؟

ريما: لا ... إن مهمتي أدق من ذلك بكثير ... لذلك أرجو أن تكون المعلومات التي سأحصل عليها منكم وافية.

عادت «ريما» إلى المقر السري الصغير بالهرم ... ومعها حصيلة المعلومات التي حصلت عليها من وكيل النيابة ... ومن السيدة «رولا»، وبما شاهدته في الميناء ... وبداخلها شعور بأنها بداية مهمة ... وأنها تحتاج إلى عَقْد اجتماع عاجل مع الشياطين قبل اتخاذ قرار إبلاغ رقم «صفر»، لكنها لم تجِد «أحمد» في المقر ... وقد أخبرها الكمبيوتر أنه في طريقه إلى المقر السري الكبير ... في الصحراء الغربية ... ومعه «إلهام» و«عثمان»، وعلى الباقين أن ينتظروا الأوامر ... فشعرت أن في الأمر شيء ... فقد كان معهم «أحمد» حتى صباح اليوم ... ولم يكُن في نيته السفر، ممَّا يعني أن قرار السفر اتُّخِذ فجأة وهناك دافع له ... فما هو؟

شعرت «ريما» أن ما يشغل رأسها كثير ... وعليها ألَّا تترك نفسها لكل ذلك، وأن تدع النتائج حتى تأتي وحدها.

وقد أتت أول نتيجة قبل أن تغلق جهاز الكمبيوتر ... وكانت «زبيدة» التي ظهر اسمها على الشاشة يومض ويختفي، فداعبتها في جهاز الاستدعاء قائلةً: آنسة «زبيدة» عليها التوجُّه إلى غرفة المعلومات.

فعرفت صوتها ... وردًّا على المداعبة، قالت لها: غرفة المعلومات بها شوشرة، وأرجو معرفة سبب ذلك قبل توجُّهي إليها.

قالت ذلك ... وبداخلها شعور أن في الأمر شيئًا مثيرًا ... ففي الصباح يسافر «أحمد» و«إلهام» و«عثمان» فجأة، والآن ها هي «ريما» بغرفة المعلومات تطلب منها أن تلحق بها.

لم يتغيَّر الحال كثيرًا بعد أن صَعِدت «زبيدة» إلى «ريما»، فلم تكُن عندها إجابة لتساؤلها عمَّا يحدث في المقر السري الكبير ... وقرَّرتا عَقْد اجتماع عاجل ... لبقية الشياطين الموجودين في «القاهرة»، للوقوف على ما يحدث أو انتظار الاستدعاء.

وعندما وصلت رسالة «ريما» إلى «فهد»، كان جالسًا بجوار «بو عمير»، الذي كان يقود لنشًا ... يجمع باقي أفراد الشياطين، في طريقهم لمعاينة مكان الحادث، والوقوف على أسبابه، فأخبرها بذلك، وبأن هناك معلومات جديدة حول الموضوع سوف تعرفها عندما يعودون.

وقد لاحظ «فهد» طوال رحلة اللنش، أن هناك مَن يراقبهم من أحد الأبراج المُطِلة على النيل، مستخدمًا نظارة معظمة، وقد كان هو أيضًا يرتدي نظارة معظمة، ولكنها تبدو كالنظارة الطبية العادية ولكنها قوية جدًّا ... وعندما عادوا إلى المقر، كان أول ما فعلوه هو الالتقاء بـ «ريما» و«زبيدة». وكانت لديهم الكثير من المعلومات أيضًا عن ذلك الحادث، ممَّا تطلَّب تعاونًا منهم لإعداد تقرير يُقدَّم إلى رقم «صفر».

وبينما هم يُعِدُّون التصوُّر المنطقي لأسباب شتَّى ترجِّح مَن يكون مدبِّر هذا الحادث، تلقَّوْا رسالة من المقر السري الكبير بأن «أحمد» و«إلهام» و«عثمان» موجودون هناك، وسيلتقون بهم على الشبكة الخاصة بالمنظمة بعد عشر دقائق.

وفي الميعاد المحدَّد، تلقَّى الجميع تحية المساء من الشياطين الثلاثة، وتمنيات العاملين بالمقر الكبير لهم بالتوفيق، ثم سألهم «أحمد» إن كانت هناك أحداث جديدة وقعت؟

فتبادل الجميع النظرات وهم يبتسمون، فأجابه «مصباح» قائلًا: أحداث مثل ماذا؟

ففهم قصده، واختصارًا للوقت قال له: حادث اختراق الصنادل البحرية بـ «رملة بولاق»!

مصباح: وحادث اختفاؤك؟

أحمد: ستعرفون أسبابه فورًا.

ريما: بالنسبة لحادث «رملة بولاق» فقد كنت هناك وقت اختراق الصندل، وتابعت الحادث من مكان وقوعه، ثم من أعلى مبنًى مجاور له.

فهد: وقمت أنا وبقية الشياطين باستئجار لنش من نادي اليخت، وطُفنا حول موقع الأحداث، والْتَقينا بملَّاحي بقية الصنادل التي كان يقطرها ذلك الصندل.

أحمد: وهل توصَّلتم إلى شيء؟

ريما: أهم ما توصلت إليه ... هو أن هذه الصنادل كانت تحمل كميات كبيرة من «البطاطس»، التي كانت في طريقها للتصدير.

أحمد: وكان هذا أيضًا سبب سفري إلى المقر الكبير.

فهد: أكنتَ على علم بعملية إحراق الصندل؟

أحمد: بالطبع لا ... ولكني أقصد البطاطس.

بو عمير: تقصد مزارع البطاطس المحيطة بالمقر؟

أحمد: نعم ... فهناك آفات ظهرت لم تكُن موجودة من قبلُ، وقد شاهد بعضُ حرَّاس الموقع عددًا من الأعراب يسيرون بين زراعات البطاطس ليلًا، وقد طاردتهم كلاب الحراسة، ولولا سياراتهم التي كانوا قد تركوها دائرة، لَمَا أفلتوا من أنيابها.

مصباح: وما المقصود بهذه العمليات؟

أحمد: الاقتصاد المصري طبعًا.

ريما: كيف؟

أحمد: إن «مصر» وباقي الدول العربية تتجه الآن إلى التنمية بخطًى واسعة واثقة، ولم تعُد خطط الزراعة أو التصنيع من أجل الأسواق المحلية والاكتفاء الذاتي فقط ... ولكن أيضًا من أجل التصدير.

قيس: نعم ... ففي بلدي «السعودية» — ورغم ندرة الماء — فقد نجحت زراعة القمح نجاحًا كبيرًا، حتى إننا نصدِّر منه إلى الأسواق العالمية.

أحمد: والذي حدث في مصر ... أننا نجحنا في زراعة أصناف من البطاطس ذات جودة عالية، وهي مطلوبة عالميًّا، بالذات من دول «الاتحاد الأوروبي»، أصبحنا نصدِّر أكثر من ٤٥٠ ألف طن سنويًّا.

فهد: إنه رقم كبير!

أحمد: طبعًا، ولكن الأعداء وأصحاب المصلحة المضادة دائمًا موجودون. وقد حدث أنهم الْتَفُّوا ذات عام على أصحاب القرار في الدول المستوردة، فرُفِضت كل صادراتنا من هذا المحصول بحجج واهية، مما أدَّى إلى خسارة فادحة للمنتجين، وأحدث ذلك أزمة ثقة بين المنتجين والسوق، لولا وقوف المسئولين إلى جانبهم، لتعود «مصر» لمكانتها في تصدير البطاطس دوليًّا.

ريما: وعندما فشلت مساعيهم في الخارج، اتجهوا لضرب الإنتاج في الداخل.

عثمان: نعم، بنشر الأمراض في الأرض الزراعية، وبإحراق وسائل نقل المحاصيل وإغراقها.

أحمد: ليس هذا فقط ... بل تهديد المزارعين في الأرض الجديدة ... وتهديد أمنهم بطرق كثيرة.

إلهام: وأعتقد أنه ستكون هناك محاولة لإغراق السفن التي ستحمل البطاطس للأسواق الأوروبية.

وافق «أحمد» على كلام «إلهام»، واتفق الجميع على إبلاغ رقم «صفر» بما تمَّ التوصُّل إليه، مع سرعة عقد اجتماع في المقرِّ السري الصغير بالهرم.

ورغم أن ذلك الاجتماع كان مساء اليوم التالي، والمسافة بين المقر الكبير بالصحراء الغربية والمقر الصغير بالهرم كبيرة ... فإن الشياطين الثلاثة آثروا استخدام السيارة الجديدة التي صُمِّمَت خِصَّيصَى لهم، فقد كان شيئًا رائعًا قيادة سيارة تحمل ما لم يظهر في السوق بعدُ من تكنولوجيا متقدمة ... فقد كان بها عجلتا قيادة، وعصا تحكُّم في السرعة تسمح بانتقال القيادة من السائق إلى مساعده والعكس، وجسمها الخارجي مُصمَّم بحيث يحمله الهواء في ارتفاعات منخفضة عند السرعة الكبيرة والتي تتجاوز المائتي كيلومتر ... دون أن يلاحظ أحد ذلك، مما يجعلها آمنة في قيادتها، خاصة عند السرعات التي تصل إلى ٤٠٠ كيلومتر، بالإضافة إلى الرادار الأرضي المُركَّب بها، والذي يمسح الطريق أمامها حتى مسافة كيلومتر، فإذا ما اكتشف عائقًا لا يمكن تفاديه، أعطى أمرًا للسيارة، فترتفع في الهواء وتتخطَّاه؛ ولهذا كان قرارهم بالعودة إلى القاهرة في سيارة القرن الحادي والعشرين والتي أطلقوا عليها اسم «البراق».

وعند أول خيط من خيوط الفجر، كانت «البراق» قد احتوت بداخلها الشياطين الثلاثة ... وقد ربطوا أحزمة الأمان ... وأَجْروا الاختبارات اللازمة على جميع أجهزتها ... عن طريق الكمبيوتر المُلحَق بها. وفي غرفة المتابعة جلس عدد من العلماء والمهندسين أمام شاشات المراقبة، يتابعون رحلة الشياطين «بالبراق»، عن طريق القناة الخاصة بهم في القمر الصناعي «نايل سات».

وعند إشارة الاستعداد هدَر موتور السيارة في صوت ناعم خفيض، ومع إشارة الانطلاق كانت قدم «أحمد» قد ضغطت على بدَّال السرعة، لتقفز الأرقام الزرقاء المضيئة في عداد السرعة الإلكتروني إلى مائتي كيلومتر في غضون عشر ثوانٍ، وشعرَ الشياطين أنهم

يرتفعون في الهواء ... وأن عجلات السيارة لا تلامس الأرض، فهم لا يشعرون بالاهتزازات التي يُحدِثها احتكاك العجَل بالطريق.

وتنفيذًا لأوامر مقر القيادة ... زاد من سرعتها حتى بلغت ٤٠٠ كيلومتر. وبالتحكُّم في جزء خاص بالجسم، زاد ارتفاع السيارة عن أرض الطريق ... إلى متر ونصف المتر، ثم عادت إلى الأرض مرَّة أخرى في منحنًى واسع.

وكانت هذه القفزات هي ما يريد علماء المقر أن يتأكَّدوا من نجاح الشياطين في استيعابها ... ومعرفة متى وكيف يستفيدون منها ... إلَّا أن الإرسال انقطع بينهم فجأة، فلم يعُد «أحمد» يسمع تعليماتهم، ولم يعودوا يرَوْن على شاشة المراقبة غير نقاط سوداء.

السيارة الخاطفة!

ترك «أحمد» قيادة السيارة لـ «إلهام» التي كانت جالسة بجواره ... خلف عجلة القيادة الأخرى، وقام بفحص أجهزة الاتصال وأجهزة الاستقبال من الأقمار الصناعية، وعلى شاشة صغيرة بالتابلوه، ظهرت صورة متعرِّجة مُشوَّشة، ما لبثت أن اتضحت بمجرد تحريكه لبعض الأزرار، إلَّا أنها عادت لِمَا كانت عليه بمجرد عودته لعجلة القيادة مرَّة أخرى ... فبدت له صورة مشوشة لرسالة شفرية، فأسرع بتسجيل محتوياتها في مفكرته الخاصة قبل أن تختفي، إلَّا أنه شعرَ بميل السيارة ميلًا شديدًا يصل إلى حد الخطورة، فالْتَفتَ إلى عجلة القيادة، ثم إلى «إلهام» فوجدها في حيرة شديدة وقد تبدَّى عليها القلق، والعرق يتصبَّب منها، وقد قفزت الأرقام في عداد السرعة إلى ٣٠٠ كيلومتر.

فسألها قائلًا: أتحتاجين لمعاونة؟

إلهام: لا أعرف إن كانت ستُجدي أم لا!

أحمد: اخفضي السرعة.

إلهام: لقد فقدتُ السيطرة عليها.

عثمان: تولَّ أنت القيادة يا «أحمد».

ولم ينتظر «أحمد» ما قاله «عثمان»، بل أمسك بعصا القيادة، إلَّا أنها لم تَستجِب له ... ولولا أن الطريق الصحراوي مُمتَد وخالٍ من العوائق، ولولا ارتفاع السيارة في الهواء وعدم اعتمادها على العجلات في السير؛ لانقلبت بنفس قوة اندفاعها ... وعبَثًا حاولَ تقليل سرعتها ... فلم يُفلِح حتى في تغيير الاتجاه.

فاقترح «عثمان» استشارة الكمبيوتر الخاص بها ... ورأت «إلهام» أن هذا الكمبيوتر يقتصر دوره على متابعة موجات الرادار، والتعامل مع العوائق، وإعطاء تقرير عن أعطال السيارة، وتحديد مواقعها.

أحمد: هذا ما نحتاجه بالضبط ... إلَّا أنني أتوقَّع أن يكون عنده حلول لها ... وكان الوقت يمرُّ سريعًا، والسيارة تندفع كالطلقة الطائشة، إلَّا أن ما اندهش له الشياطين أنها كانت تميل في المنحنيات، وتدور مع دوران الطريق، ممَّا يعني أنها سيارة ذكية، تقرأ الطريق كالإنسان بالضبط ... إن لم تكُن تفوقه.

وقرأت «إلهام» ما يدور في ذهن عثمان، ورأت أنه على حق ... فحتى لو كانت السيارة تخضع لتوجيه ذاتي وكان الطريق مُبرمَجًا عليها، فما كانت ستتخذ القرار من تلقاء ذاتها، بل يجب أن يتركوا لها القيادة بمحض إرادتهم ... فهل اختطفتهم السيارة؟ ولو كان هذا اختطافًا، فهل بقرار ذاتي أم أن هناك توجيهًا خارجيًّا؟

أحمد: بما أن السيارة في حالة اختبار لأجهزتها ... فأعتقد أن ما يحدث شيء عادي، وأنها مُجهَّزة للتوجُّه الذاتي.

عثمان: ولكن هذا هو طريقنا؟

أحمد: عندك حق، لقد خرجت بنا عن الطريق المرصوف! وهذه المنطقة مشهورة بالرمال المتحركة.

إلهام: وإلى أين تتجه بنا؟ وماذا سنفعل في عمق الصحراء؟

عثمان: أترين هذا الوادي المنخفض؟

إلهام: أنا لا أرى غير ذلك الجبل الضخم الذي تتجه إليه السيارة ... يجب أن يكون هناك حلٌّ.

وقبل أن تبلغ السيارة الجبل، مالت ميلًا شديدًا، وهي تنحرف في دائرة واسعة مرتفعة إلى أعلى، وقفزت الأرقام في عداد السرعة إلى ٤٠٠ كيلومتر، والشياطين ينظرون لبعضهم في حيرة ... والابتسامة تعلو وجوههم ممَّا تفعله هذه السيارة المحترفة التي تحوَّلَت إلى طائرة، ولا يعرفون إلى ماذا ستتحوَّل في المرة القادمة!

وعند قمة الجبل دارت السيارة حول نفسها ... وسرعتها آخِذة في الانخفاض ... إلى أن توقَّفَت تمامًا، وارتفع من مقدمتها تلقائيًّا ... هوائي استقبال حديث للغاية ... وعاد الكمبيوتر للعمل ... وعلى شاشته الصغيرة بدَت صورة أحد رجال المنظمة بالمقرِّ يقول: طبعًا أنتم مُندهِشون لِمَا حدث ... وسأفسِّره لكم. لقد كان هناك مَن يتعقَّبكم، وحاولنا تحذيركم؛ فالتعقُّب كان راداريًّا وبالأقمار الصناعية ... ولكننا وجدنا أننا بتحذيركم سنسهل مهمته ... فأرسلنا أوامر شفرية للسيارة بالخروج من الطريق، وكنا نرسل الأوامر كلما استدعى الأمر ... فبرنامج السيارة مُهيَّأ للتعامل مع مثل هذه المواقف والظروف ... وأعتقد أنكم رأيتم بأنفسكم ... كم كانت محترفة هذه السيارة!

أحمد: تقصد الطائرة!

المقر: لا نستطيع أن نطلق عليها ذلك؛ لأن مسافات طيرانها محدودة.

إلهام: وهل هي كذلك في المدن؟

المقر: بالطبع لا ... فالزحام في المدن لا يسمح لغير عقل الإنسان بالقيادة ... تستطيعون الآن إكمال طريقكم إلى «القاهرة» ... وفَّقكم الله!

عثمان: وهل هي مُهيَّأة للعودة ... أم للذهاب فقط؟

ابتسم رجل المقر وهو يقول: بالطبع ستعود بكم إلى الطريق الرئيسي.

ورغم كل ما حدث وخروج السيارة عن الطريق الرئيسي، وتوغُّلها في الصحراء وعودتها مرة أخرى، فإنهم لاحظوا أن الوقت ما زال مبكرًا، وأنهم لم يستغرقوا وقتًا طويلًا ... وما زالت فكرة العودة بهذه السيارة فكرة راجحة.

وعلى الطريق شعروا أنهم أكثر ثقة في التعامل مع السيارة ... وأثناء الطريق ارتفعت الأرقام في عدَّاد السرعة إلى ٤٠٠ كيلومتر، ممَّا دفع «إلهام» لأن تعلِّق على ذلك قائلة: أشعر أني أركب سيارة الأخطار في «ديزني لاند».

وقبل أن ترحل الشمس وصلت السيارة وبها ثلاثتهم إلى المقر السري بالهرم، وأعلنت أجهزة كمبيوتر المقر وصولهم ... في نفس وقت تواجدهم في غرفة المعلومات، وكانت «ريما» منشغلة مع «فهد» في التجهيز لاجتماع رقم «صفر» في مساء نفس اليوم، وعندما شعرت بوجود «أحمد» الْتَفتَت إليه مُرحِّبة، فنظر إليها ضاحكًا وهو يقول: ما رأيك ... أسرع من «الهارد ديسك»؟!

فضحكَت كثيرًا لمداعبته ... فقد كانت ترتاح لتواجده ... وتحب خفة دمه.

وقبل الاجتماع بساعة كان الشياطين كلهم أمام أجهزة الكمبيوتر، يسترجعون المعلومات عن حادثة «رملة بولاق»، وعن حرب البطاطس المشتعلة بين «مصر» ودولة معادية لا تحب مصلحتنا.

وفي الميعاد المحدَّد، ارتفع صفير متقطِّع ... فأعطى الشياطين الأمر لأجهزتهم، لتدخل على الشبكة ... وأصبحت كلُّ أجهزة الكمبيوتر مُهيَّأة لحضور الاجتماع، وظهر على شاشاتها ... خطوط بيانية متراصَّة، وخرج صوت رقم «صفر» يُلقي عليهم تحية المساء ... والخطوط تتحرَّك صعودًا وهبوطًا مع صوته.

وبدأ رقم «صفر» الحديث قائلًا: مبروك السيارة الجديدة يا «أحمد».

فابتسم «أحمد» وأكملَ رقم «صفر» كلامه قائلًا: الرحلة كانت يسيرة جدًّا ولكنها كانت مثيرة ... أليس كذلك؟

كاد «أحمد» يجيبه لولا أنه استطرد قائلًا: عرفتم أن الحروب القديمة انتهى عهدها، والآن ... هناك حرب واحدة تسود العالم أجمع ... وتتجمَّع لها الدول في تكتُّلات، إنها الحرب الاقتصادية.

زبيدة: وأيضًا حرب المعلومات؟

رقم «صفر»: لا ... إن المعلومات هي سلاح هذه الحرب، وبعد أن كانت صناعة السلاح هي أكثر الصناعات رواجًا في العالم، حَلَّت محلها الآن صناعة المعلومات.

ريما: وما هي صناعة المعلومات؟

رقم «صفر»: هي تحويل المعلومة إلى كائن مفيد بذاته ... وبما ينشأ بينه وبين باقي المعلومات من علاقة تؤدِّي إلى نتائج، تُدار بها كل حياتنا الآن.

أحمد: وهل نحن مستعدون الآن لهذه الحرب؟

رقم «صفر»: ليس بالقَدْر الكافي ... ولكننا على الطريق، والطريق أمامنا طويل.

إلهام: وكيف نقصِّر ذلك الطريق؟

رقم «صفر»: بتوحيد إمكاناتنا، وتوجيه ثرواتنا إلى البحث العلمي ... فنحن نبيع لهم البترول، وهم يبيعون لنا نتاج مراكز البحوث عندهم.

أحمد: نعم ... فاليابان مثلًا، ليس لديها موارد طبيعية ... ونحن لدينا ثلثا احتياطي البترول في العالم ... ومع ذلك فهي ضمن أكثر دول العالم غنًى ... ونحن لا.

رقم «صفر»: ونحن في «مصر» استفدنا من جهود علمائنا في زراعة أجوَد أصناف البطاطس المطلوبة عالميًّا ... بكميات كبيرة ... وأصبحنا من أكبر المُصدِّرين لها ... ولكن هناك مَن لا يريدون لنا ذلك ... ويحاربوننا بوسائل شتَّى.

إلهام: وقد فعلوا ذلك معنا خارج «مصر» من قبل.

رقم «صفر»: ولأنهم فشلوا ... فقد ضاعفوا جهودهم في الداخل والخارج.

فهد: لقد توصَّلتُ إلى معلومات تفيد بأن بعض الرجال الذين ينتمون لمنظمة معادية خارج «مصر» ... أتَوْا كمُستثمِرين ... يشجِّعون زُرَّاع البطاطس على زراعة محصول آخَر، ويَعِدونهم بشرائه ... بأسعار مُشجِّعة، بحيث تفوق أرباحهم ما يُحقِّقونه من زراعة البطاطس، وذلك بحجة احتياج السوق العالمي لهذا المحصول، وارتفاع سعره.

رقم «صفر»: إنها تشبه عملية الإغراق.

عثمان: وما هو الإغراق؟!

رقم «صفر»: أي أن تدعم دولة إنتاجها من سلعة مُعيَّنة (كالسُّكَّر مثلًا)، وتُصدِّره لدولة أخرى بسعر غير حقيقي ... أقل من سعر السلعة في هذه البلاد ... فيُقبل الناس

عليها ... ويُعرِضون عن إنتاج بلدهم، وتموت صناعة «السُّكَّر» في هذا البلد ... فيتحكَّمون في الأسعار بعد ذلك.

أحمد: تقصد أنهم يُشجِّعون زُرَّاع البطاطس على زَرْع محصول آخَر، ويشترونه بسعر غير حقيقي، حتى يقضون على زراعة البطاطس في «مصر»، وبعد ذلك يتركونه حتى لا يجد مَن يشتري منه ذلك المحصول.

رقم «صفر»: نعم.

إلهام: إذَن مهمتنا هي توعية الزُّرَّاع ... ورصد هذه العناصر ... والقضاء عليها.

رقم «صفر»: هذا جانب.

ريما: وعلى الجانب الآخَر ... هناك مكتب تصدير حاصلات زراعية، تُديره سيدة لبنانية كانت صديقة لوالدتي، وعرفتُ منها أن صاحب هذا المكتب لبناني الجنسية ... وبالتحرِّي عنه عرفتُ أنه يعمل في مجال الاستيراد والتصدير منذ فترة كبيرة، وقد افتتح مكتبه هنا ... منذ الحرب الأهلية اللبنانية ... وله علاقات عديدة في أكثر من دولة بالمنطقة ... ومعظم دول العالم ... لكن المثير في الأمر أنه من أكبر مُصدِّري الزهور لفرنسا، وبالمناسبة فهي من أكثر الدول استيرادًا للزهور منا. وقد قام بتشجيع كثير من الزُّرَّاع على التحوُّل من محاصيل هامة للدول ك «القمح» و«القطن»، إلى زراعة «الزهور» ونصب الصوبات لزراعة «الخيار» وغيره من خضراوات التصدير.

رقم «صفر»: تقصدين أن هناك احتمالًا أن يكون ضالعًا في إحجام بعض الزُّرَّاع عن زراعة البطاطس؟

ريما: أنا في دوري لإثبات ذلك.

أحمد: على ذلك قد يكون له دورٌ أكبر من ذلك.

رقم «صفر»: بداية الغَزْل خيط ... ومعكم طرفُه ... وفَّقكم الله!

اختفت الخطوط من على الشاشة، وظهر بدلًا منها عبارة «وفَّقكم الله!» فأخرجوا أجهزتهم من على الشبكة وأغلقوها. وبرغبة جماعية انتقلوا يتحادثون إلى قاعة الترويح، حيث الموسيقى الناعمة ... تنبعث من جنباتها ... وغابة من أشجار الزينة ... والورود ذات الألوان الساحرة تحتضن المقاعد الوثيرة في تنسيق بديع ... وتزيد بهاء الأضواء الخافتة ... ذات الألوان الدافئة ... وخفتت أصوات الشياطين بمجرد أن دخلوها، وكأنهم خضعوا لقوانين المكان ... وكان ذلك هو المقصود من تصميم القاعة ... فالأصوات العالية، والضوضاء الصاخبة، والمكان المزدحم، كل ذلك لا يساعد العقل على التفكير السليم.

وطلب «أحمد» من «إلهام» أن تُعِد لهم مشروبًا ساخنًا، ولا تعتمد في ذلك على عامل البوفيه ... فسألَتْه: ماذا تشرب؟

أحمد: بطاطس!

ضحك الشياطين، وطلبوا من «إلهام» إعداد مشروبهم العالمي المفضل «الشاي».

فقالت لهم: إنه أصعب اختبار؛ فالشاي يحتاج لخبراء في صناعته.

أحمد: أما البطاطس، فتحتاج لأن نعرف ماذا سيفعل هذا اللبناني، والذي أشكُّ في جنسيته، غير تشجيع الزُّرَّاع على التحول عن زراعتها.

إلهام: ربما سيبث رجاله في أماكن التخزين في الموانئ، ليحقنوا صناديق الشحن بموادَّ ... تؤدِّي لتلف عبواتها ... قبل الوصول إلى الموانئ الأوروبية وفَحْصها.

مصباح: وبذلك تُرفَض الشحنة كلها.

قيس: ليس هذا فقط ... بل هناك احتمال أن يكتب تقريرًا معه للجهات المسئولة فتمنع استيراد البطاطس المصرية.

بو عمير: وكالعادة ... تتناول الصحف العالمية هذا الموضوع بصورة تُسيء إلى «مصر»، ونخسر أسواقًا يكسبها أصحاب المصلحة.

ريما: وكذلك نخسر احترام العالم لنا.

أحمد: كفاكم. لقد جعلتموني أشعر أن الحرب العالمية الثالثة ستقوم.

إلهام: إذَن، فهذا الرجل هو مفتاح مهمتنا.

عثمان: ألا تعرفين اسمه يا «ريما»؟

ريما: نعم ... اسمه السيد «كنعان».

عثمان: وأنا «كنعان» أقصد جوعان ... فما رأيكم في ساندويتشات؟

أحمد: إن كان لا بد ... فساندويتش «شيبسي».

إلهام: أوه ... بطاطس مرَّة أخرى.

تأخَّر الوقت، وذهب الشياطين إلى أسِرَّتهم، وهم يُفكِّرون في هذا النوع الجديد من العصابات ... ورغم أن الموضوع غير مثير ... فإنه خطير ... وتذكَّرَ «أحمد» قبل أن ينام حرب القطن، وكيف أن قطننا المصري طويل التيلة والمطلوب جدًّا في الأسواق العالمية ... بالذات الأسواق الأمريكية، قابَل حروبًا كثيرة للقضاء على احتكاره للسوق، وتذكَّر مزارع البطاطس، في أرض المقر السري الكبير بالصحراء الغربية ... وكيف تسلَّل إليها هؤلاء الرجال لينشروا فيها الآفات الضارة ... وقد رآهم على شريط الفيديو الذي قامت بتصويره غرفة المراقبة بالمقر، وقد كان أحدُهم منحنيًا يدفن شيئًا في الأرض، فماذا كان يخفي؟

فانتبهت حواسه وشعرَ أن شيئًا خطيرًا قد حدَث ... فالآفات الزراعية لا تحتاج إلى دفن في الأرض ... وعملية الدفن هذه لم يُسمَع عنها إلَّا في التعامل مع النفايات الذريَّة ... وإن صحَّ ذلك، فهو يُعرِّض المنطقة كلها لخطر التلوُّث الإشعاعي ... فالمقر والمزرعة الملحقة به في خطرٍ ... وعليه أن يتصل الآن — وليس بعد الآن — بالمقر السري الكبير.

نفايات ذريَّة!

احتاجَ «أحمد» لكي يستطيع النوم إلى القيام ببعض تمرينات «اليوجا» التي تُساعد على الاسترخاء ... وفي صباح اليوم التالي، وفي غرفة الطعام، شعرَت «ريما» أنه كان شاردًا ... وأنه بالكاد يردُّ عليهم تحية الصباح ... فاحترمَت صمته ورغبته في الانفراد بنفسه ... غير أن موضوعًا هامًّا لا يحتمل التأجيل دفعها لاقتحام خلوته قائلة: ماذا تشرب يا «أحمد»؟ فلم يردَّ عليها ... فنادَتْه لتُخرجه من شروده حتى استجاب لها.

فقالت له: ماذا تشرب؟

فنظر إلى الكوب الموضوع أمامه مليًّا ... ثم الْتَفتَ إليها مبتسمًا.

فقالت له: أنت لستَ معنا منذ فترة!

أحمد: ماذا لديك؟

ريما: إنه بخصوص حرب «البطاطس»!

أحمد: أسمعُكِ.

ريما: أليس من المُستبعَد استخدام النفايات الذرية لتشويه سمعة إنتاجنا؟

فتوافقَ كلامها مع ما يفكِّر فيه ... فاعتدلَ في جلسته ثم سألها: كيف؟

ريما: إن دفن نفايات ذريَّة في الأراضي المنزرعة «بالبطاطس»، أو خلطها بالتربة، يؤدي إلى إنتاج «بطاطس» ملوثة بالإشعاع.

فالْتفتَ إلى «إلهام» التي كانت تجلس مع «زبيدة» في ركن بعيد عنه وقال لها: أسمعتِ ما تقوله «ريما»؟!

إلهام: ماذا قالت؟

ريما: لقد نسينا أن النفايات الذريَّة أصبحت تجوب العالم بحثًا عن مدفن لها، والعالم كله يرفض دفنها في أرضه.

عثمان: طبعًا لآثارها المدمِّرة على البيئة وعلى التربة، والتي قد لا تصلح للزراعة مرة ثانية ... إلَّا بعد مرور أكثر من مائة عام.

مصباح: وإن لم يكتشف أحد ما بها ... وقام بزراعتها أنتجت محاصيلَ مُشِعَّة تؤدي إلى الموت البطيء، وأمراض كالسرطان، وتَشوُّه الأجِنَّة، وغيره الكثير من الأخطار.

إلهام: نحن لم ننسَ ... ولكن ما أهميتها لنا الآن في حرب «البطاطس»؟

أحمد: «ريما» تقصد أن يخلط أحدهم تربة مزارع «البطاطس» بنفايات ذريَّة.

علَت همهمة بين الشياطين، فرفع «أحمد» يده قائلًا: لقد شغلني هذا الموضوع مساء أمس، ولولا الكثير من تمرينات الاسترخاء ... ما استطعتُ النوم.

قيس: ولماذا لم تناقشنا فيه ... وقد كنا معًا مساء الأمس؟

أحمد: لقد تذكَّرتُ قبل النوم فيلمًا صوَّرَته غرفة مراقبة المقر لمجموعة الرجال الذين تسللوا لزراعات «البطاطس».

عثمان: أذكر أن أحدهم كان ينحني ليلتقط شيئًا ... أو ليضع شيئًا. وهنا صاح بصوت خفيض قائلًا: نعم يا «أحمد»، الأمرُ جِد خطير ... فقد يكون ما وضعه نفايات ذريَّة!

أحمد: فلتستعد أنت و«مصباح»، فسنعود إلى المقر الكبير اليوم.

إلهام: لماذا لا تتصل بهم ... ويقومون بمسح الزراعات كلها بما لديهم من إمكانات.

أحمد: لا ... فسيظل الموضوع سرًّا بيننا لاعتبارات كثيرة.

ريما: أستحملون معكم كاشفًا للإشعاع؟

أحمد: نعم ... ولكن يجب تثبيته في شاسيه السيارة ... حتى نستطيع مسح الزراعات كلها بمجرد السير فوقها.

وهنا تركهم «خالد» متوجِّهًا إلى جراج المقر ... وقبل انتهاء استعداد الشياطين للرحيل، عاد إليهم قائلًا: على فكرة ... السيارة مُهيَّأة للكشف الإشعاعي ... وقد سجَّلَت نسبة كبيرة من الإشعاعات في نفس ساعة مغادرتكم للمقر.

إلهام: هل مرَرْنا فوق زراعات «البطاطس»؟

أحمد: لا أتذكَّر ... ولكن الموضوع خطير جدًّا ... المهم ألَّا تكون هناك مقبرة للنفايات بالقرب من المقر.

ريما: معنى ذلك أننا نكون قد تعرَّضنا كلنا لخطر الإشعاع؟

زبيدة: كذلك كل العاملين بالمقر الكبير.

وعندما خرجت سيارة الشياطين إلى ميدان الرماية، كان الميدان مكتظًّا بسيارات الشرطة ... فآثرَ «أحمد» السير بسرعةٍ لا تثير الشبهات حول السيارة، إلى أن تعمق في طريق «الإسكندرية» الصحراوي، فربط حزام الأمان ... وكذلك «عثمان» و«مصباح»، وترك لعداد السرعة العنان ... لتجري أرقامه سريعًا ... وتقفز سرعة السيارة إلى ٤٠٠ كيلومتر، ولم يشعروا بالطريق، لارتفاع السيارة في الهواء ... وبالقرب من المقر الكبير في الصحراء الغربية، بدأ يراقب مؤشِّر كاشف الإشعاع ... إلَّا أن «عثمان» طلب منه السير ببطء حتى يتمكَّنوا من مسح المنطقة جيدًا.

وإلى أن وصلوا إلى المقر، كانت إدارة المقر تُراقب تحركاتهم ... فخرجت لهم سيارة مدير الأمن لتعاونهم في دخول السيارة ... واندهش الشياطين لهذا الإجراء الذي لم يُتخذ معهم من قبل ... وعرف بعد ذلك أن المقر يتخذ بعض الإجراءات الأمنية المشددة لحماية العاملين به وبالمنظمة، وقد اتصل رقم «صفر» به ليخبره بذلك قائلًا: لقد علمت الأجهزة الأمنية بالمقر أن هناك إشعاعات ضارة، تصدر من مصدر مجهول، وكان عليهم اتخاذ الإجراءات المناسبة لمنع وقوع أضرار لأحد.

أحمد: ومتى علموا بذلك؟

رقم «صفر»: بالأمس فقط.

عثمان: عن طريق سيارتنا؟

رقم «صفر»: نعم.

أحمد: حدث ذلك دون أن نعلم أن لها اتصالًا بهم؟!

رقم «صفر»: لا تنسوا أنها كانت خاضعة للمراقبة بالأمس؛ لأنه كان آخِر يوم اختبار لها ... وهو الاختبار العملي.

مصباح: وهل تحدَّدت المناطق الملوثة بالإشعاع؟!

رقم «صفر»: هناك بعض التعديلات سيقوم بها المقر في سيارتكم، حتى تُصبح بعدها هي الأنسب لهذه المهمة ... وإلى أن ننتهي من هذه التعديلات، ستحملكم طائرة هليكوبتر ... إلى مطار القاهرة وستقابلان هناك «ريما» ... ومعها تعليمات جديدة ... وفَّقكم الله!

تبادل الشياطين النظرات وعلى وجوههم ابتسامة سعادة ... فها هي المفاجآت التي يحبونها ... والتي تُشعل فيهم الإثارة ... والتي تعوَّدوا عليها، وها هي الطائرة الهليكوبتر تحملهم إلى مطار القاهرة ليجيبوا على ما يدور بخلدهم من أسئلة. فتواجُد «ريما» بمطار القاهرة يعني أنهم مسافرون ... إذَن، إلى أين؟ ولماذا «ريما» بالذات؟ هل لهذا علاقة بتواجُد

«ريما» ومتابعتها لحادثة احتراق الصندل وقت وقوعها؟ أم لعلاقتها بالسيدة «رولا» مديرة مكتب «كنعان» رجل الأعمال اللبناني؟

ولم يجدوا لهذه الأسئلة إجابات إلى أن وصلوا إلى مكتب شركة «مصر للطيران»، حيث كانت تجلس «ريما» التي ما إن رأتهم حتى ابتسمت ابتسامة عريضة، فسألها «أحمد» مداعبًا: ماذا فعلتِ؟

ريما: علمتُ أن السيد «كنعان» سافر إلى «فرنسا»، في نفس الوقت الذي غادرَت فيه الميناءَ سفينةٌ تحمل شحنة «بطاطس» كبيرة.

مصباح: إلى أين؟

ريما: إلى «فرنسا».

وفي «فرنسا» وفي مطار «شارل ديجول» بباريس، بحثت «ريما» عن السيدة «رولا» فلم تجدها، وطال بحثها، وشعر «أحمد» بالقلق ... فهو لم يتعوَّد أن يكون القرار خارج يده ... لذا فقد سأل «ريما» إن كانت تعرف لها عنوانًا في «باريس»، أو رقم تليفون؟

ريما: إنها ستصل اليوم أيضًا.

أحمد: ألم تكُن معنا على نفس الطائرة؟

ريما: لا ... فقد حجزَت في شركة طيران أخرى.

مصباح: وهل تعرفين ميعاد وصولها؟

ريما: لا ... ولكنها تعرف ميعاد وصولي.

ابتسم «أحمد» ممَّا أثار حنق «ريما»، فسبقتهما وخرجت من المطار وحدها ... وسمعت مَن يناديها ... فلم تعبأ في أول الأمر ... ولكنها فطِنت لأن صوت مناديها هو صوت السيدة «رولا» ... التي سعدت كثيرًا برؤيتها.

ومن بعيدٍ أشار لها «أحمد»، فعرفت أنه سيتتبعهما دون أن تلاحظ السيدة «رولا» ذلك.

ومن المطار إلى برج «إيفل»، كانت متابعة التاكسي الذي يُقِل «ريما» وصديقتها أمرًا يسيرًا ... وإلى المطعم الذي يحمل اسم أول مَن كتب روايات الخيال العلمي «جول فيرن»، حملهما المصعد ... وجلس الشياطين بالقرب من «ريما» وصديقتها ... وتعمَّد «أحمد» أن يُظهر انبهاره بما يرى متحدثًا بصوت مرتفع إلى كلٍّ من «عثمان» و«مصباح».

فالبرج يتوسَّط أرقى أحياء «باريس» التي تبدو لهم من تحت أقدامهم، أحلى من الخيال العلمي ... وقد زارها الشياطين أكثر من مرَّة للسياحة والعمل ... ولكنه يقصد من

إظهار انبهاره، لفت نظر السيدة «رولا» إلى أنه يتحدَّث اللغة العربية ... وقد كان «مصباح» و«عثمان» يفهمان مقصده جيدًا ... وتجاوبَا معه ... سأله عثمان وهو يشير إلى قبَّة ذهبية تتوهَّج أمامهم: ما هذه القبَّة يا «أحمد»؟

أحمد: أعتقد أنها تخص متحف «اللوفر».

فاستدارت إليهم مدام «رولا» تُلقي عليهم تحية المساء ... أنتم من «مصر»؟

مصباح: نعم ... ندرس في جامعة القاهرة.

رولا: إن هذه القبَّة تُسمَّى «الأنفاليد»، وتحتها قبر «نابليون بونابرت».

عثمان: وما هذا البناء المحيط بها؟

رولا: إنه المتحف الحربي.

ثم أشارت لهم على الجانب الآخَر وقالت: وهذا متحف «الأورسيه» وقد كان محطة للسكك الحديدية منذ أوائل هذا القرن حتى عام ١٩٨٤ ... وأصبح متحفًا للفن ومسرحًا.

ولكثرة معالم «باريس» السياحية، عرضت السيدة «رولا» على الشياطين الانتقال إلى مائدتهم ... وقد وافقوا على الفور، وشعر «أحمد» بالارتياح لنجاح خُطته التي هنَّأته عليها «ريما» بابتسامة خفية ... فشكرها عليه بحركة من جفنه.

وملأ الحماس السيدة «رولا» التي شعرَت بمتعة كبيرة وهي تصف لهم معالم «باريس»، بادئة بالحديث عن البرج قائلة: أتصدِّقون أن هذا البرج الشهير، كان مثار اعتراض ورَفْض الكثيرين من أهل «باريس» ... وقد أطلقوا عليه الوحش المعدني الذي سيفترس جمال «باريس»؟!

أحمد: ومتى كان ذلك؟

رولا: كان ذلك في عام ١٨٨٩ ... وقد صمَّمه المهندس «جوستاف إيفل» بمناسبة إقامة معرض باريس الدولي.

ريما: معرض دولي في عام ١٨٨٩!

رولا: نعم ... وقد دخلَت به «باريس» وبالبرج القرن العشرين.

ريما: ألهذا الحدِّ تُحبِّين «باريس»؟

رولا: لقد أحببتُ عملي مع السيد «كنعان»؛ لأنه يعطيني الفرصة لزيارة «باريس» أكثر من مرة خلال العام.

أحمد: وفيمَ يعمل السيد «كنعان»؟

رولا: السيد «كنعان» رجل عظيم، يفتح في أوروبا أسواقًا للمنتجات العربية.

عثمان: أيْ يعمل في الاستيراد والتصدير.

رولا: نعم.
أحمد: أهو لبناني من أسرة لبنانية، أم يحمل الجنسية اللبنانية؟
رولا: لا أعلم إلَّا أنه لبناني.
مصباح: أَمِن الممكن أن نتعرَّف عليه؟
رولا: أعتقد أنه سيُسَر لذلك كثيرًا.
الشياطين: نشكركِ كثيرًا!
أحمد: أرجو أن تسمحي لنا بالعودة إلى مائدتنا.
رولا: تفضلوا.

عاد الشياطين مرة أخرى إلى مائدتهم، وأشاروا للموظف المختص فحضر إليهم ... وقدَّم لهم قائمة طعام كبيرة ... فالشعب الفرنسي ذوَّاق للطعام، وقد أعجَب ذلك الشياطين ... حيث استمتعوا بأصنافه الشهيَّة ... وكعادتنا في الشرق، طلب الشياطين بعد الغداء ... الشاي الساخن ... وكانت السيدة «رولا» قد انتهت هي و«ريما» من تناول طعام الغداء ... وكانتا تحتسيان الشاي أيضًا، فانتقلوا إليهم، واقترح «أحمد» أن يصاحبوهم لرؤية معالم «باريس».

فاعتذرت لهم «رولا» وهي آسفة ... فهي تريد أن تنال قسطًا من النوم، استعدادًا لسهرة عشاء عمل سيقيمها السيد «كنعان»، وطلبت منهم مصاحبة «ريما» في هذه النزهة ... على أن تعود للمبيت معها ... وتركت معها مفتاحًا للشقة التي تقيم فيها ... والتي يمتلكها السيد «كنعان» ... وأعطتها العنوان ورقم التليفون ... وعرضت على الشياطين أن يتناولوا معها العشاء مساء اليوم التالي في مسكنها ... وهرولت تغادر المكان فقد تأخَّر الوقت ... وشعرَت أيضًا بالتعب، وتركت للشياطين فرصة عَقْد اجتماع عاجل وهام.

غير أن «مصباح» لاحظَ أن عيونًا تراقبهم ... وآذانًا تسجِّل ما يقولونه، فغادروا معجزة «باريس»، وكانوا في شوق لزيارة حدائق «لافاييت»، وسألهم «أحمد» إنْ كانوا يعرفون تاريخها ... ولم ينتظر إجابتهم ... بل استطرد قائلًا: أتُصدِّقون أن هذه الحدائق كانت مذبحًا للأغنام والأبقار لمدة ١٠٠ عام؟!

بدت الدهشة على وجوه الشياطين، فقد زاروا من قبلُ معارضها، وحضروا عروض الأفلام في أندية السينما بها، وركبوا القوارب في بحيرتها، ولم يتبقَّ لهم إلَّا زيارة مدينة التكنولوجيا والصناعة، الواقعة فوق مرتفعات «شامون»، التي تحيطها حدائق «لافاييت».

واقترحت «ريما» أن يقوموا بزيارة المدينة، فلم يعُد في اليوم بقيَّة للعمل، فقال لها «أحمد»: لا ... بل الآن بالذات، نحن في حاجة للعمل ... فقد أتينا إلى «باريس» بأوامر

مفاجئة ومباشرة ... وقد علمنا أنكِ ملف العملية، فهل تُخبريننا بسبب السفر المفاجئ ... وما أهمية «رولا» لنا؟

ريما: لقد علمتُ عند زيارتي للسيدة «رولا» ببرج «كايرو بلازا»، أنها ستسافر إلى «باريس» مصاحبة للسيد «كنعان» في رحلة عمل ... وعلمتُ من «فهد» الذي كان يجمع أخبارًا ومعلومات عن مُصدِّري «البطاطس»، أن هناك شحنة كبيرة في طريقها إلى «فرنسا»، وبإبلاغ رقم «صفر» بهذه المعلومات، وجد أن هناك علاقة تربط بين الخبرين فقرَّر سفركم.

توقَّفَت «ريما» عن الكلام ... فقد لاحظت أن هناك مَن يختلس النظر إليها، وهو واضع «هِدفون» — أي سماعة — على أذنيه.

مَن قتل «رولا» و«جان»؟!

عندما أخبرته «ريما» بما يحدث خلفه، الْتَفتَ «أحمد» ليتأكَّد من ذلك الرجل، الذي رآه في هذه اللحظة يخلع «الهِدفون» ويضعه في حقيبة يده، ومعه جهاز يشبه جهاز الراديو المتطوِّر ... ويتأهَّب للرحيل ... فأشار لـ «عثمان» ... برأسه فانسحب بهدوء إلى خارج الحدائق من الجانب الشرقي ... وبإيماءة من رأسه انسحب «مصباح» إلى الجانب الغربي ... أمَّا هو فقد اتخذ مسارًا مباشرًا له ... وشعر الرجل بذلك ... فأسلم ساقيه للريح ... ومن خلفه «أحمد» يُلاحقه إلى أن خرج من الحدائق متجهًا إلى ميدان «الكونكورد»، فوجد في طريقه «عثمان» الذي كان يرفع كُرَته المطاطية الجهنمية في الهواء ويلتقطها مرة أخرى في مرَّات متتابعة، وعندما شاهد ذلك الرجل أطلقها في اتجاهه كقذيفة، فأصابته في حقيبته ... وعلا صوت شيء يتحطَّم، وأسلم الرجل ساقيه للريح ومن خلفه «مصباح» ... إلى أن وصل إلى الميدان الذي تتوسَّطه «المسَلَّة المصرية»، فصاح فيه «عثمان» من بعيد قائلًا بالفرنسية: إنْ هربتَ من «مصباح» فلن تهرب من هذه.

وأشار بكل ذراعه إلى «المسَلَّة المصرية» وظهر في هذه اللحظة رجلٌ آخَر ... يقوم بحركات رياضية استعراضية ... وفي يده خنجر، والآخر يصيح فيه قائلًا: اقتله يا «جان»!

فصاح فيه «جان» قائلًا: ألديك أوامر بالقتل يا «ليفي»؟

ليفي: لا ... ولكني آمرك بذلك حتى نفرغ للآخرين.

ورأى «مصباح» أن هذا الرجل يجيد استعمال الخنجر، وأنه إذا فقده سيكون من اليسير القبض عليه، فخلع قدميه من الحذاء دون أن يلاحظ الرجُلان.

وعندما رآه «ليفي» يتحفَّز له، صاح في زميله ... اقتله يا «جان»، ورأى «جان» إحجام «مصباح» عن مهاجمته، فشجَّعه ذلك على الانقضاض عليه ... فطوَّح «مصباح» قدمه في الهواء، لتطير فردة حذائه إلى وجه «جان» ... وما إن تفادها حتى كانت قدم

«مصباح» تضربه ضربة قوية ليسقط منه الخنجر ... ويُسْلم قدميه للريح في اتجاه مرتفعات «شامون» ... و«أحمد» يراقبه، ومن الجهة الأخرى يجري صديقه إلى البحيرة فيُلقي حقيبته بها، وسط اندهاش كلٍّ من «مصباح» و«عثمان»، ثم يلحق بصاحبه جريًا إلى مرتفعات «شامون» و«عثمان» من خلفه عاقدًا العزم على ألَّا يتركه يفلت، وفي نفس اللحظة انطلق «أحمد» خلف الآخَر، وعلى المرتفعات سبح الشيطانان ببصرهما في المكان، فلم يجدا للرجلين أثرًا ... وفي مواجهتهما شاهدا باب مدينة التكنولوجيا. فابتاع «أحمد» تذكرتين له ولـ «عثمان» ودخلا يبحثان عنهما ... وكانت عبارة عن قاعات مكتظَّة بالأطفال في أقسام عدَّة.

فمنهم مَن يسبح في رحلة بين النجوم ... ومنهم مَن يغوص تحت أعماق المحيط ... ومنهم مَن يُجري اختبارات وتجارب علمية بصورة مُبسَّطة ... ولكنهما لم يجدا وسط كل هذا «جان» و«ليفي» ... فخرجا مُسرعَين إلى القبَّة المعدنية الضخمة التي تتقدَّم المدينة ... وتنعكس عليهما صورة السماء الرَّحبة ... وخُضرة حدائق «لافاييت».

فنظر «عثمان» إلى «أحمد» قائلًا: يجب أن نتخلَّص من سحر هذا المكان، حتى نستطيع القبض على هذين الرجلين، فهما أسهل طريق للوصول إلى مَن يتعاون معهم «كنعان».

أحمد: ولماذا ربطتَ بينهما وبين «كنعان»؟

عثمان: ليس لأحد مصلحة في مراقبتنا غيره.

أحمد: وكيف علم بوجودنا؟

عثمان: هناك احتمال أن يكون ذلك من خلال مراقبة «رولا» ... وعندما تعرَّفنا عليها في مطعم «جول فيرن» أراد أن يتحرَّى عنا.

أحمد: تعني أن هذا الرجل لا يثق فيمَن يعملون معه؟

عثمان: نعم.

أحمد: إذَن، فالسيدة «رولا» لديها معلومات عن نشاطه.

عثمان: ممكن ... ومن الممكن أيضًا ألَّا يكون لها علاقة، ولكنه يخاف أن يجنِّدها أحد، لتعمل ضده.

أحمد: يكفي ذلك ... وهيا بنا ندخل القبَّة المعدنية.

عثمان: لقد قرأتُ عنها أن قُطرها ٣٦ مترًا ... وهي مغطَّاة بحوالي ٦٤٤٠ مثلثًا من المعدن.

وعندما دخلا وجدا أنه من الصعوبة البحث عن أحد في هذا المكان ... فقد وجدا أيضًا أنهما يقفان في أعماق شاشة سينما ... مساحتها حوالي مائة متر وزاوية شاشتها ١٨٠

درجةً ... ووجدا أن الصورة على الشاشة تحيط بهما ... وأنهما في حالة من الاندماج مع فيلم عن أعماق المحيطات ... وحين جلسا على أقرب مقعدين لهما، وتغيَّرَ العرض إلى فيلم عن بركان هائل ... شعرا بالكرسي يهتز تحتهما ... والبركان يحيط بهما ... بدخانه وحِمَمه ... والصرخات تعلو من داخل الصالة.

فمال «أحمد» على «عثمان» يقول له: كن حذرًا ... فإذا قُتِلنا هنا فلن يُلاحِظ أحد ذلك إلَّا بعد انتهاء العرض.

عثمان: وهل سنخرج بدونهم؟

أحمد: وهل هم هنا؟

عثمان: من الصعب فحص كل الموجودين.

أحمد: ليقف أحدنا خارج القبَّة يراقب الباب، ويذهب الآخَر لسؤال «ريما» ... عمَّا إذا كان أحدهما مرَّ من عندها.

في هذه اللحظة مال «عثمان» على «أحمد» حتى ألصق فمه بأذنه، وقال له همسًا: إنهما خارجان.

أحمد: فلنتابعهما.

عثمان: إن القبض عليهما الآن سهل.

فضغط على يده ... وشدَّه ... ليقف ... ويخرجا سويًّا في أثرهما ... وعندما أصبح خارج القبَّة ... قال له: أنا معك أن القبض عليهما الآن سهل ... ولكن لن تستطيع استجوابهما، ولن تعرف عنهما شيئًا، وسنثير شكوك مَن يعملون معهما فيأخذون حذرهم منا، بالإضافة إلى أننا سنزيد من احتمال تعرُّضنا للخطر. وعن بُعدٍ شاهدَت «ريما» «جان» و«ليفي» يحاولان إخراج حقيبة يد «جان» من البحيرة.

وقد لاحظ «أحمد» ذلك فتركه حتى يتم مهمته، إلَّا أن قدمه انزلقت فوقع في البحيرة ... ولم ينهض مرة أخرى ... وقد جرى زميله بالحقيبة، وكأنما تسبَّب في غرقه. فأشار لـ «مصباح» الذي جرى إلى البحيرة محاولًا إنقاذ «جان» ... إلَّا أنه لم يُفلح ... فقد خرجَت جثته بلا روح.

ووصلت سيارة البوليس وسيارة الإسعاف ... وقام ضابط الشرطة بإجراء تحقيق سريع مع مشاهدي الحادث ... فقدَّم إليه «أحمد» بطاقته الأمنية، فرحَّب به في ودٍّ شديد فحكى له ما حدث ... وأعطاه أوصاف المدعو «ليفي».

وهنا اقترح «أحمد» أن تذهب «ريما» لتستريح في شقة السيدة «رولا» في الحي اللاتيني ... أما هم ... فسيذهبون للمبيت في الفيلَّا الخاصة بالمنظمة في قرية «كومرسيه».

إلَّا أن «ريما» رغبت في المبيت معهم فهي تحبُّ هذه الفيلَّا كثيرًا ... ولها فيها ذكريات كثيرة مع «إلهام» و«زبيدة».

أحمد: ولكننا نحتاجكِ مع «رولا» هذه الليلة بالذات.

مصباح: لستُ معك يا «أحمد» ... فقد يكون هناك خطرٌ عليها ... بعد مطاردتنا لـ «جان» و«ليفي».

ريما: وهل تعتقدون أن «ليفي» سيُخبرهم بشيء بعد أن عرف الجميع بقتله لـ «جان»؟

عثمان: على فكرة ... أنا أضم صوتي لـ «مصباح» ... بضرورة قضاء «ريما» هذه الليلة معنا في «كومرسيه».

جميلة قرية «كومرسيه» وغنية بالخُضرة ... وسعيدة بما تنعم به من هدوء، وقد شعر الشياطين بعدم الرغبة في النوم، رغم ما بذلوه من جهد في ذلك اليوم، فتعاونوا في صُنع عشاء سريع، وشاي ساخن يساعدهم على الاسترخاء.

وقد كان مطبخ الفيلَّا عامرًا بكل ما يحتاجه الشياطين ... فأعوانُ المنظمة في «فرنسا» يُعِدون الفيلَّا دائمًا لاستقبال المسافر إليها من رجالهم.

وأثناء تناول الطعام ... أطلق «عثمان» أخطَر صاروخ في ذلك اليوم بقوله: هل «ليفي» يعمل في منظمة واحدة مع «جان» أم أنه عميل مزدوج؟

مصباح: لماذا هذا السؤال؟

عثمان: لقد قتل «ليفي» صاحبه من أجل ما في الحقيبة ... رغم أنه يخص «جان»، وهو في النهاية لصالح مَن يعملون له ... فلماذا إذَن قتله؟ إلَّا لأنه سيُسَلِّم هذه المعلومات لمكان آخَر يعمل هو معه.

أحمد: تحليلٌ ممتاز ... وعليه ... يجب تصوُّر سيناريو تقريبي، لما حدث وما يمكن أن يحدُث.

عثمان: «جان» يعمل مع السيد «كنعان» ... والأخير يتعاون مع بعض رجال الأعمال في «فرنسا» لإتمام صفقاته ... وهو يستعين ببعض الجواسيس التابعين لمنظمات مجهولة، ليحصلوا له على أسرار صفقات غير مشروعة، ويسرِّبونها له في مقابل نفس الخدمة ... التي يقوم بها لصالحهم، في «مصر» والعالم العربي.

أحمد: ومِن الواضح أنَّ ما توصَّل إليه «جان» وسجَّله، لا يريد «ليفي» توصيله إلى «كنعان»، بل يريد إخبار منظمته به ... لذلك تَخلَّص من «جان».

ريما: إذَن، فنحن سنكون في مواجهة في الفترة القادمة مع «ليفي» ... ومَن وراءه.

مصباح: و«كنعان»؟

عثمان: أعتقد أنه يجب أن نخبره ونطلب منه أن يتعاون معنا، وسنغفر له ما مضى.

ريما: أشك في أنه سيوافق.

أحمد: إذَن، أخبري «رولا».

ريما: إن شاء الله في الصباح!

وفي صباح اليوم التالي ... اتصلت «ريما» بـ «رولا» فلم تُجِبها ... وعاودت الاتصال أكثر من مرة ... دون فائدة ... فطلبت من الشياطين الذهاب إلى الحي اللاتيني ... لسرعة إخبار «رولا» بما حدث لتأخذ حذرها.

لكن لم تستجب لجرس التليفون، ولم تستجب لجرس الباب ... إلَّا أن «ريما» سمعت جرس التليفون عاليًا ... فطلبت من «أحمد» إبلاغ البوليس ليكسر الشقة ... وقد حزنت كثيرًا عندما وجدت «رولا» قد قُتلت خنقًا ... بالإيشارب الذي كانت تلفُّه حول رقبتها.

وحضر السيد «كنعان»، وبدا عليه التأثُّر الشديد عندما علم بما حدث، وقد طلب ضابط الشرطة منه الحضور إلى القسم لاستكمال التحقيق ... وفي قسم الشرطة الْتَقى «أحمد» و«ريما» التي طلبت منه أن يسمح لها ببضع دقائق للتحدُّث إليه.

وبجوار «المسلَّة المصرية» في ميدان «الكونكورد»، أوقف السيد «كنعان» سيارته وكان معه فيها مجموعة الشياطين ... الذين قاموا باستجوابه فيما نسبوه إليه من أفعال.

ريما: هل كنت سببًا في رفض شحنة البطاطس المصرية منذ عامين؟

كنعان: نعم ... دون أن أدري ... أو أقصد.

أحمد: هل لك يدٌ في إحجام بعض المزارعين عن زراعة البطاطس؟

كنعان: كنت أقصد بذلك مصلحتهم.

أحمد: ومصلحتك أولًا؟

فأطرقَ «كنعان» رأسه في خجل وشعور بالذنب.

مصباح: هل كنتَ وراء خلط تربة مزرعة البطاطس بالصحراء الغربية بالنفايات الذريَّة؟

كنعان: لا ... إن في هذا إضرار بصحة الناس.

عثمان: أتعرف «ليفي»؟

كنعان: نعم ... وقد زارني في «مصر» من قبل أكثر من مرَّة.

ريما: إنه قاتل «جان» ... وقد سرَق منه حقيبتَه.

أحمد: أتعرف مع مَن تعمل؟

نظر إليهم «كنعان» في حيرة ... والعرق يتصبَّب منه، وقال لهم: سأعرف في الفترة القادمة مع مَن كنت أتعاون ... ومَن قاتِل «رولا»؟

السقوط في نهر السين!

لفت نظر «أحمد» أن «كنعان» كان هادئًا، يتحدَّث في نبرة الواثق ... وهو أمر مريب! فكيف وهو رجلُ مالٍ، لم يشعر بقلق تجاه ما يحدث؟ وكأنما لم يؤثِّر عليه مقتل «رولا»، والمفروض أنه المقصود من هذا الحادث ... فليس لـ «رولا» علاقات خاصة أو علاقات عمل داخل «فرنسا»!

ومن المعاينة المبدئية للشقة ... اتضح أن القتل لم يكُن بغرض السرقة ... وفي نفس الوقت ... شعر «كنعان» بشكٍّ «أحمد» فيه، وقد لاحظ «عثمان»، ذلك في نظراته إليه ... لكنه لم يُبدِ له شيئًا ... وقد كان أول الموافقين على اقتراحه بقضاء الليلة معه ... إلَّا أن «ريما» اعترضت على ذلك فيما بينها وبين «أحمد»، فهي في حاجة للعودة إلى «كومرسيه»، فطلب منه «أحمد» تأجيل هذه الدعوة إلى الغد، فعرض عليهم — بل وألحَّ — في أن يأخذهم في نزهة قصيرة بسيارته على ضفاف نهر «السين»، وبعدها يوصلهم إلى حيث يشاءون، وقد رضخوا لمطالبه بادين الشكر له ... حتى رأوا سيارته ... فاستحسنوا هذا الاقتراح بشدة ... فقد كان يختًا وليست سيارة ... وقد علَّقت «ريما» قائلة: إنها أطول سيارة في التاريخ.

فقال «عثمان»: بل إنها أطول من التاريخ!

ضحك الشياطين لهذه القفشة ومعهم «كنعان» الذي شعر أنهم بدءوا يلينون له ... فطاف بهم شوارع الحي اللاتيني، وخرج منه إلى ساحة «الكونكورد» و«المسلة المصرية»، حتى بلغوا نهر «السين»، فعبروه إلى جزيرةٍ فيه تنتصب فوقها كنيسة. عرفوا منه أنها كنيسة «نوتر دام» العتيقة ذات الأبراج «القوطية»، ولاحظوا أن أجراسها لا تكفُّ عن الرنين.

وتوقفت السيارة وخرج سائقها يفتح لهم الأبواب ... وكان «كنعان» أول مَن غادرها طالبًا منهم اللحاق به ... فسيُريهم الكنيسة التي جرَت فيها أحداث رواية «فيكتور هوجو» الشهيرة.

فقالت «ريما»: «أحدب نوتر دام» أليس كذلك؟

كنعان: نعم.

ريما: ولكني متعبة الآن!

كنعان: إنها فرصتنا.

ومن أمام بوابة الكنيسة سمعوا صوتًا أجشَّ يقول: مساء الخير سيد «ليشع».

فتلفَّت الشياطين حولهم ... فلم يكُن أحد غيرهم بالمكان ... لكنهم لاحظوا أنه بدا على «كنعان» الضِّيق ... فنظروا لبعضهم في دهشة وتساؤُل، أيكون هو السيد «ليشع»؟ لو كان هذا صحيح ... فليس غيره قاتِل «رولا».

ورغم إلحاحه ... فإنه لم ينجح في إقناع «ريما» بالصعود إلى هذه الأبراج، التي لا تكلُّ أجراسها عن الرنين ... فصعد ومعه الشياطين الثلاثة إلى أحد الأبراج، وكاد رنين الأجراس يُصِم آذانهم ... رغم وَضْع أيديهم عليها ... ولم يجد «أحمد» ضرورةً لتحمُّل كل ذلك، فما المتعة في هذا؟ فآثَرَ النزول ومن خلفه «عثمان» و«مصباح»، إلَّا أن مسدسًا قطع عليهم الطريق ... وأمْرًا ممَّن يحمله بالصعود مرَّة أخرى ... ولم يكُن الصوت للسيد «كنعان»، فلمَن يكون إذَن؟!

كان الظلام يلفُّ منزل البرج، والسلم الحلزوني يُخفي صاحب المسدس، الذي تعجَّل تنفيذ ما يقول ... فصرخ فيهم قائلًا: عودوا من حيث أتيتم ... فعرفه الشياطين من صوته ... إنه «ليفي» ... فهل سلمهم «كنعان» إلى ذلك القاتل؟ ليس هناك تفسير آخَر لِمَا يحدث ... ويبدو أنه لم يكُن وحده ... لأنهم سمعوه يُصدر أمرًا بتقييدهم في جرس البرج ... وأثناء ذلك ... كان عقل «عثمان» يعمل في سرعة، وحضرته مشاهد من فيلم «أحدب نوتر دام»، جعلته يفكِّر مازجًا الواقع بالخيال، وفي لحظة، قرَّر أن يُسقط الحائط الفاصل بينهما، فواصلَ صعود البرج في خفة ورشاقة، ثم تسلَّق الجرس ... إلى أن تعلَّق بالمطرقة، فمنع دوي صوت الجرس، ممَّا أثار دهشة «ليفي»، فأمر أحد رجاله بالصعود ليخبره بما يحدث.

وبخشونة بالغة دفع الرجل الشياطين ... ليُفسح لنفسه الطريق للصعود ... ولم يشأ «أحمد» إفساد خطة «عثمان»، فترك الرجل وشأنه، ومثله فعل «مصباح» ... وشعر «عثمان» بقدومه ... فاستعد له ... حتى رآه يرفع وجهه له، فأطلق كُرَته الجهنمية، صاروخًا ... اصطدم برأسه، فأفقده توازنه وسقط من أعلى البرج ... فعَلَا صوت ارتطامه بالأرض ... وتجمَّع حوله العاملون بالكنيسة ... في اللحظة التي أطلق فيها «ليفي» رصاصة أودت بحياته إن كان لم يمُت بعد ... وابتعد العاملون في الكنيسة في فزع، وهم يجرُّون جثته.

وشعر «أحمد» أن «ليفي» سيتصرَّف بعصبية، فصحب «مصباح» وصعد إلى أعلى البرج، ولزما السكون ... ممَّا أخرج «ليفي» من سكونه ... فجرى صاعدًا السلم خلفهم ليستطلع ما يحدث ... وما كاد «عثمان» يرى رأسه حتى أرسل إليه الكُرة في تحية مروعة ... قذفت به من أعلى البرج ... ليرتطم هو الآخَر بأرض الكنيسة ... وسمعا في هذه اللحظة صوت محرِّك السيارة يدور ... وكالصاعقة هبطا السلم الحلزوني، وقبل أن تتحرَّك، كانوا قد تعلَّقوا بها من الخلف فـ «ريما» وحدها معهم، وليس لديهم معلومات عن مقر «كنعان» في «باريس» وكيف يصلون إليه.

وقبل أن تغادر السيارة الجزيرة ... وقفت بجوار جسر عالٍ ... ونزلت منها «ريما» في صحبة رجلين مسلَّحين، يقودانها مُكمَّمة إلى لوح خشبي عريض ... يصل ما بين الجسر ... ويخت يقف بجوار الجزيرة ... وما إنْ عبروه حتى انطلقت السيارة وبها «كنعان»، وآثَر الشياطين البقاء بجوار «ريما» على مطاردته ... وتحت أيديهم هذان المُسلَّحان ... وهو أقصر الطرق للوصول له وباقي عصابته.

وقبل أن يغادر اليخت الجزيرة ... كان الشياطين يختبئون في غرفة الماكينات ... يبحثون بينها عن وسيلة اتصال سريعة آمنة بـ «ريما».

وقد رأى «عثمان» أنه يجب استدعاء أفراد العصابة إلى غرفة الماكينات ... والقبض عليهم إن أمكن ... أو التخلُّص منهم.

فقال له «مصباح» متهكمًا: فلتستدعهم أنت بأمر مباشر منك.

أحمد: ليس لدينا وقت للتهكم ... وليشرح لنا «عثمان» كيف يمكننا استدعاؤهم.

عثمان: كما استدعيتهم في البرج.

أحمد: تقصد كما عطَّلت الجرس عن العمل؟

عثمان: نعطل المحركات؟

مصباح: فكرة عظيمة ... وهو أمر سهل.

أحمد: على أن نعطِّل مولِّد التيار أيضًا ... ليسهل التعامل معهم في الظلام.

وبسهولة وجد الشياطين الثلاثة المعدات اللازمة للعبث في محركات اليخت معلقة على جدار الغرفة ... فقاموا بحل أجزاء حيوية في المحرك بمهارة شديدة ... مما جعل اليخت يتوقف عن الحركة، وسمعوا صوت جلبة تقترب منهم ... فاختبأ «أحمد» خلف الباب ... ملتصقًا بالحائط المجاور له.

ولم تمُرَّ لحظات ... إلَّا وانفتح الباب، وظهرَ خيال رجل ممسك بكشَّاف صغير في حجم القلم ... يُدير ضوءه في الغرفة، مُلقيًا نظرة سريعة عليها ... وما إنْ خطا بداخلها ...

حتى ضربه «أحمد» ضربة قوية ... فطوَّحه إلى آخِر الغرفة فاصطدمت رأسه بحائطها ... وسقط بلا حركة ... في الوقت الذي علا فيه صوت زميله يسأله عمَّا يحدث عنده ... وعندما لم يُجب ... صاح فيه غاضبًا وهو يقول: «ألبرتو» ... ليس هذا وقت تصفية حسابات «ألبرتو»، مسيو «ليشع» غاضب.

فعلَّق «مصباح» قائلًا: إذَن، «ليشع» هو «كنعان».

أحمد: وهو معنا على اليخت.

عثمان: لقد رأيته يرحل في السيارة!

في هذه اللحظة ... اندفع الباب بقوة ... وعلا من خارجه صُراخ زميل «ألبرتو» وكان يحمل بين يديه مدفعًا ... يناديه بعصبية قائلًا: «ألبرتو»!

ماذا تفعل عندك؟ «ألبرتو» ... ثم عاد يجري من حيث أتى ... لحظات ... وبدأت الأقدام تهدر على سطح اليخت ... ولم يتوقَّع الشياطين وجود كل أولئك الرجال.

وفي عرض النهر ... ومن نافذة الغرفة المستديرة ... رأوا كشَّافات تغيِّر ظلام النهر ... ويختًا يقف بجوار يختهم ... ونما إلى أسماعهم خليطٌ من الأصوات لم يتبينوا فيما تتحدث!

ثم رأوا «ريما» تنتقل بين بعض الرجال إلى اليخت الآخَر ... وقبل أن تصله فاجأتهم بضرب أحدهم بسرعة خاطفة ... ونزع سلاحه منه ... في الوقت الذي كانت تدفعه إلى الماء ... وقبل أن يفيق مَن حولها ... كانت تقفز إلى الماء ... وطلقات المدافع تُلاحقها من كل اتجاه. فسكتت تحت الماء لفترة طويلة، حتى خاف عليها الشياطين أن تختنق وتموت غرقًا ... وآثروا التدخُّل لإنقاذ حياتها.

وأوحت لهم بعض خزانات الوقود، التي كانوا يجلسون فوقها ... باستخدامها كقنابل لإزعاجهم، ولَفْت أنظارهم عن «ريما» ... حتى تستطيع السباحة إليهم ... إلَّا أن فكرة طرأت على رأس «أحمد»، أدارت رأس الشياطين ... فساعداه في البحث عن معدات للغوص ... وجمعا له الكثير من أطواق النجاة ... ففرَّغوها من الهواء ... وأوصلوها ببعض الخراطيم، إلى أسطوانات الأكسجين ... وفي هدوء وحذرٍ ... غادروا اليخت من باب الطوارئ ... وقطعوا المسافة حتى اليخت الآخَر ... سباحة تحت الماء ... حتى بلغوه فشرعوا في تثبيت أطواق النجاة بالألواح المعدنية البارزة من قاعدته ... في الوقت الذي انهالت فيه طلقات مدافع رجال «كنعان» على اليخت الفارغ ... فاندلعت فيه النيران ... وأحالت ليل نهر «السين» إلى نهار.

وبعد أن فرغ الشياطين من مهمتهم ... أخرجوا رءوسهم فوق سطح الماء يتنفَّسون ... فلاحظوا أنهم أصبحوا أربعة ... ولم يكُن رابعهم سوى «ريما»، وقد كانت تعاونهم

طول الوقت ... دون أن يشعروا بها، وعلى ضوء النيران المشتعلة في اليخت، رأوا سيارات الشرطة على جانبَي النهر ... فآثروا أن يخرج إليهم «أحمد» سباحةً ويخبرهم بما يحدث ... إلَّا أن اللنش بدأ في الحركة مبتعدًا عن المكان ... وشعروا أن خُطتهم في القبض على «كنعان» ستفشل، فقسَّموا العمل فيما بينهم، على أن يخرج «أحمد» لرجال الشرطة ... ويسبح الباقون خلف اللنش ... استعدادًا لإشارة التنفيذ.

ورأى رجال «كنعان» سيارات الشرطة تنصرف دون ملاحقتهم ... فارتابوا في الأمر، فبدءوا يتسلَّلون من اليخت الواحد تلو الآخر سباحة إلى الشاطئ ... وكانت أيسر طريقة للقبض عليهم ... فقد كان رجال الشرطة في انتظارهم على طول مسار النهر ... إلَّا أن «كنعان» أحسَّ بما يجري، فأمر رجاله بالبقاء في اليخت ... وإعداد كل ما لديهم من أسلحة للمقاومة حتى الموت ... فقد انكشف أمرهم ... بالقبض على زملائهم ... ولا بد أنهم سيعترفون بما قاموا به من جرائم. وبعلاقتهم به، ومن الاتجاه الآخَر ... رأى الشياطين يختًا مماثلًا، يطلق إشارات ضوئية عن بُعد. فأطفأ يخت رجال العصابة كل أنواره، وبعد دقائق اقترب اليختان حتى تجاورا ... وجرى حوار سريع بين بعض الرجال فيه، وقد لَمح «عثمان» وجود صاري صغير يحمل علمًا لدولة أجنبية، وعرف أن اليخت يتبع إحدى السفارات، وأن «كنعان» لو انتقل إليه، فلن تتمكَّن الشرطة من القبض عليه.

وانتظروا حتى رأوه يسلِّمهم بعض الحقائب ... فرأوا أنه من الخطورة ضياع هذه الحقائب أيضًا على الشرطة ... فقد تكون بها مستندات ووثائق تدينه ... فاتفقوا سريعًا على تنفيذ الخطة، وفي لحظات ... كانت كل صمامات خزانات الأكسجين قد فُتحت ... وأطواق النجاة المعلَّقة بقاعدة اليخت تنفتح ... وما بين رعب «كنعان» ورجاله وحيرتهم ... وذهول ركاب اليخت الآخَر ... ارتفع اليخت إلى أعلى فقد حملته أطواق النجاة كما تحمل الدرافيل الغرقى ... ولم يجد ركاب اليخت الدبلوماسي وسيلة لإنقاذ الموقف ... غير الهروب ... تاركين «كنعان» يُلاقي مصيره ... مع رجال الشرطة ... الذين حضروا في أكثر من قارب ... وكان بينهم «أحمد».

وفي صباح اليوم التالي ... وفي مطار «شارل ديجول» ... تلقَّى الشياطين الأربعة تحية رقم «صفر» وتهنئته على نجاح العملية ... ودعوته لهم بمجرد وصولهم على وجبة بطاطس ساخنة ... وضحك الشياطين في سعادة ... وهم في طريقهم إلى الطائرة.

هنـــداوي